

٤ - إسرائيل فى خطر

وجاء يوم الإثنين ٨ أكتوبر .

وكانت قوات الجيشين الثانى والثالث قد عززت أوضاعها فى سيناء نتيجة للأعمال القتالية التى قامت بها بنجاح خلال اليومين السابقين .

لقد أصبحت قوات الجيش الثانى تقاتل على عمق ٩ - ١٢ كيلومتراً شرق القناة . وتمكنت الفرقة ١٨ مشاة بقيادة العميد فؤاد عزيز غالى من تحرير مدينة « القنطرة شرق » بعد أن حاصرتها داخليا وخارجيا ثم اقتحامها ، ودار القتال فى شوارعها وداخل مبانيها حتى انهارت القوات المعادية واستولت الفرقة على كمية من أسلحة ومعدات العدو بينها عدد من الدبابات ، وتم أسر ثلاثين فرداً للعدو وهم كل من بقى فى المدينة . وأذيع فى التاسعة والنصف من مساء اليوم - ٨ أكتوبر - من إذاعة القاهرة تحرير المدينة الأمر الذى كان له تأثير طيب فى نفوس الجميع .

وفى قطاع الجيش الثالث ، كانت القوات تقاتل على عمق ٨ - ١١ كيلومتراً شرق القناة . وكان أبرز قتال هذا اليوم هو نجاح الفرقة ١٩ مشاة بقيادة العميد يوسف عفيفى فى احتلال عيون موسى . كما قامت نفس الفرقة باحتلال مواقع العدو الإسرائيلى المحصنة على الضفة الشرقية التى يتمركز فيها ستة مدافع ١٥٥ مم .

هذه المدافع كان يستخدمها العدو الإسرائيلى فى قصف مدينة السويس خلال حرب الاستنزاف ، ولم نتمكن من إسكاتها فى ذلك الوقت برغم توجيه قصفات نيران ضدها بكل أنواع دانات المدفعية المتيسرة وقتئذ لصلابة التحصينات التى عملت لها بواسطة

القوات الإسرائيلية . اضطرت القوة الإسرائيلية للهروب تحت ضغط قوات الفرقة ١٩ بعد أن تركت المدافع فى مواقعها سليمة .

وفى صباح هذا اليوم – ٨ أكتوبر – قام الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان بزيارة الجبهة لمتابعة الموقف . بدأ بزيارة قيادة الجيش الثانى ، انتقل بعدها لزيارة الفرقة الثانية المشاة حيث قابل العميد حسن أبو سعده فى قطاع الفردان شرق القناة . وتحرك الشاذلى بعد ذلك إلى قيادة الجيش الثالث ، انتقل بعدها لزيارة الفرقة السابعة المشاه بقيادة العميد أحمد بدوى فى قطاع جنوب البحيرات شرق القناة . وعاد إلى مركز عمليات القوات المسلحة مساء نفس اليوم بعد أن شاهد بنفسه موقف القوات ، ولمس الروح المعنوية العالية التى يتحلى بها المقاتلون .

□ □ □

كنا نتابع موقف قوات العدو التى تم تعبئتها ، وهى قوات الاحتياطى التى تعتمد عليها إسرائيل فى الحرب . وقد تحرك إلى سيناء يوم ٧ أكتوبر فرقتان مدرعتان ، إحداهما بقيادة الجنرال ابراهام آدان (يلقبونه برن) على المحور الشمالى فى اتجاه القنطرة ، والفرقة الأخرى بقيادة الجنرال شارون على المحور الأوسط فى اتجاه الاسماعيلية ، بالاضافة لفرقة مدرعة كانت موجودة فى الجبهة منذ بداية الحرب بقيادة الجنرال مندلر . وبذلك أصبح لإسرائيل حوالى ٩٥٠ (تسعمائة وخمسين) دبابة بالجبهة مشكلة فى ثلاث فرق مدرعة تحت قيادة ثلاثة من القادة البارزين فى الجيش الإسرائيلى .

اصطدمت فرقة آدان أثناء تحركها على طريق العريش – القنطرة باحدى مجموعات الصاعقة المصرية التى فتحت نيرانها وأسلحتها المضادة للدبابات على قولات الدبابات الإسرائيلية المتحركة ، فدمرت بعضها وأتلفت البعض الآخر . وتسبب القتال فى تعطيل تحرك الفرقة فى اتجاه القناة عدة ساعات تفاديا للخطر الذى يواجهها خلال تحركها لوجود كمائن الصاعقة على محور تقدمها . أنجزت مجموعة الصاعقة عملها بنجاح وشجاعة ضد دبابات العدو فى وضح النهار ، وتكبد رجال الصاعقة بعض الخسائر بعد أن صمموا على تنفيذ مهمتهم بروح الفداء التى يتميزون بها .

لم تصطدم فرقة شارون أثناء تحركها على الطريق الأوسط برجال الصاعقة ، إلا أن تحركها كان حذراً بعد أن تبلغ لها أن قوات الصاعقة المصرية تعمل فى عمق سيناء

منذ بعد ظهر اليوم الأول للقتال ، وصدر بيان عسكرى إسرائيلى يوم ٧ أكتوبر يقول إن القوات الإسرائيلية التى تقاتل فى جبهة القناة وجدت نفسها مشتبكة فى نفس الوقت فى معارك أخرى مع الكوماندوز المصريين الذين أنزلوا فى العمق وراء الخطوط الإسرائيلية .

كان فى تقديرنا فى القيادة العامة أن العدو الإسرائيلى لا بد أن يوجه ضربة مضادة قوية بقوات الاحتياطى التى وصلت إلى سيناء بغرض تدمير قواتنا ومحاولة الوصول إلى خط القناة . وكنا على ثقة – طبقاً للتخطيط – بأن قوات الجيشين الثانى والثالث على استعداد لمواجهة العدو وقادرة على هزيمته . وأن يوم الإثنين ٨ أكتوبر هو يوم حاسم فى سير العمليات ، ولا بد أن تقتنع القيادة الإسرائيلية ، نتيجة للمعركة القادمة ، بأننا سنستمر فى فرض إرادتنا عليهم .

□ □ □

وبينما كان حشد الاحتياطى الإسرائيلى يتم خلال يوم ٧ أكتوبر ، طار ديان إلى قيادة الجبهة الجنوبية (سيناء) حيث استعرض الموقف مع قائدها الجنرال جونين . ولا شك أن ديان أصبح على علم تام بالموقف المتدهور لقواته بالجبهة ، والخسائر التى لحقت بالفرقة المدرعة التى يقودها مندلر التى وصلت خسائرها إلى مائتى دبابة أى ثلثى عدد دباباته ، وضياع فعالية حصون خط بارليف والفشل فى إنقاذ الأفراد الإسرائيليين المحاصرين فيها . وبعد تقييمه للموقف سجل ديان وزير الدفاع رأيه فى الموقف قائلاً :

« الواقع أننى خلال طيرانى عائداً من سيناء إلى تل أبيب ، لا أتذكر لحظة فى الماضى شعرت فيها بالقلق الذى شعرت به الآن . لو أننى كنت أعانى جسمانيا وأواجه الخطر شخصياً لكان الأمر أهون ، أما الآن فثمة شعور آخر ينتابنى ... كانت إسرائيل فى خطر .

وستكون النتائج مهلكة إذا لم نتدارك الموقف الجديد ونتفهمه فى الوقت المناسب ، وإذا فشلنا فى تكييف قتالنا مع المتطلبات الجديدة .

قلت ذلك لجولدا مائير عندما وصلت إلى تل أبيب بحضور وزيرين آخرين ورئيس الأركان اليعازار . وكانت نقاطى الرئيسية تقضى بأن نترك خط القناة ، وننظم أنفسنا فوراً عند خط جديد ، ونتمسك بهذا الخط بكل ثمن ، وأن نشن الحرب من هناك .

لقد واجهنا خطراً أفقدنا قوانا ... وعلينا أن نبذل جهداً جباراً للحصول على طائرات ودبابات من أمريكا بأسرع وقت ممكن ، وربما نحاول الحصول على دبابات من أوربا . صعقت رئيسة الوزراء وصعق الوزيران الآخران . وأعتقد أن مرجع ذلك – إلى حد كبير – قولى أيضاً أنى لا أعتقد أن فى مقدورنا فى هذه اللحظة رد المصريين إلى الجانب الآخر للقناة ...

وكان واضحاً من أسئلتهم المنتقدة إثر ملاحظاتى الواقعية ، أنهم ظنوا أن الضعف لا يكمن فى الوضع العسكرى الراهن ، وإنما فى شخصيتى . وإنى فقدت ما أتمتع به من ثقة ، وأن تقييمى غير صحيح ، وإننى مغرق فى التشاؤم .

وقال رئيس الأركان أنه لا يتفق مع تقديرى ، ووافق على إعداد خط ثان بدلاً من خط القناة إلا أنه قرر شن هجوم مضاد يقوم به شارون وآدان ضد القوات المصرية على الضفة الشرقية للقناة . تنفس الوزراء الصعداء ، فلم يكن فى مقدورهم تحمل التفكير فى افتقارنا إلى القوة فى أى لحظة لرد العدو (مصر) إلى حيث كان منذ ثلاثين ساعة مضت » .

الضربة المضادة الإسرائيلية :

وبدأت الضربة المضادة الإسرائيلية صباح يوم ٨ أكتوبر ضد قوات الجيش الثانى فى المنطقة من « القنطرة شرق » إلى « الإسماعيلية شرق » .

وجد اللواء سعد الدين مأمون قائد الجيش الثانى فى مواجهته فرقتين مدرعتين ، احداهما فى المنطقة شرق القنطرة بقيادة آدان ، والأخرى على الطريق الأوسط فى اتجاه الاسماعيلية بقيادة شارون ولكنها لينست على إتصال مباشر بقوات الجيش .

كان الوضع العام لقوات العدو – من وجهة نظر هيئة العمليات – أن فرقة آدان المدرعة تواجه قوات الجيش الثانى ، بينما فرقة مندلر المدرعة تواجه قوات الجيش الثالث ، أما فرقة شارون المدرعة فهى إحتياطى الجبهة الجنوبية الإسرائيلية لتعزيز نجاح هجوم إحدى الفرقتين فى مواجهة الجيش الثانى أو الجيش الثالث .

بدأت فرقة آدان المكونة من ثلاثة لواءات مدرعة (حوالى ٣٠٠ دبأبة) ووحدات أخرى بالهجوم ضد الفرقة ١٨ بقيادة فؤاد عزيز فى قطاع القنطرة بلواء مدرع ، وضد

الفرقة الثانية بقيادة حسن أبو سعدة فى قطاع الفردان بلواء مدرع آخر بغرض اختراق المواقع المصرية والوصول إلى خط القناة . تمكنت قوات الجيش الثانى من صد هذا الهجوم فى القطاعين ، وفشلت قوات العدو فى مهمتها ، اضطرت على إثرها للانسحاب شرقاً بعد أن تكبدت الخسائر فى الأفراد والمعدات .

معركة الفردان :

أعاد العدو تنظيم قواته ، وحاول آدان مرة أخرى الهجوم بلواءين مدرعين ضد فرقة حسن أبو سعدة واللواء الثالث ضد الفرقة ١٦ بقيادة العميد عبد رب النبى فى قطاع شرق الاسماعيلية . ودارت « معركة الفردان » بين فرقة آدان وفرقة حسن أبو سعدة .

اندفعت الدبابات الإسرائيلية لاختراق مواقع أبو سعدة فى إتجاه كوبرى الفردان بغرض الوصول إلى خط القناة ، وكلما تقدمت الدبابات الإسرائيلية ازداد أمل آدان فى النجاح . فوجئت القوة المهاجمة بأنها وجدت نفسها داخل « أرض قتل » ، والنيران المصرية تفتح ضدها من ثلاث جهات فى وقت واحد تنفيذاً لخطة حسن أبو سعدة . وكانت المفاجأة الأقوى أن الدبابات المعادية كان يتم تدميرها بمعدل سريع بنيران الدبابات المصرية والأسلحة المضادة للدبابات والمدفعية . كانت قوة الدبابات الإسرائيلية المتقدمة باندفاع شديد تتكون من ٣٥ دبابة مدعمة بقيادة العقيد عساف ياجورى ، وهى إحدى الوحدات التى كانت تتقدم الهجوم ، فأصابه الذعر عندما أصيبت ودمرت له ثلاثون دبابة خلال معركة دامت نصف ساعة فى أرض القتل . لم يكن أمام عساف ياجورى إلا القفز من دبابة القيادة ومعه طاقمها للاختفاء فى إحدى الحفر لعدة دقائق وقعوا بعدها فى الأسر برجال الفرقة الثانية . وظلت هذه الدبابة المدمرة فى أرض المعركة تسجيلاً لها يشاهدها الجميع بعد الحرب .

اضطر آدان ، لخسائره الشديدة ، لإيقاف هجومه والانسحاب شرقاً تحت ضغط قوات ونيران الجيش الثانى .

لقد شعرت بالارتياح عندما تبلغ لنا فى مركز العمليات عن نجاح معركة الفرقة

الثانية – معركة الفردان – بقيادة حسن أبو سعدة[1] . اتصلت به تليفونيا لتقديم التهنئة له على إنجاز فرقته ، وتبادلنا حديثاً قصيراً امتدح فيه التخطيط وامتدحت فيه التنفيذ . وقد أسعدنى ما سمعته منه عن الروح المعنوية لقوات الفرقة وإصرارها على هزيمة العدو .

كانت قيادة الجيش الثانى ، وكنا أيضاً فى مركز العمليات ، نتابع المعارك التى تدور فى قطاع الجيش ، حيث أن نجاح هجوم العدو فى قطاع القنطرة شرق أو الفردان أو الاسماعيلية شرق – كان يعنى وصول قواته إلى خط القناة الأمر الذى يؤثر على إتزان أوضاع قوات الجيش ، الأمر الذى لا يمكن قبوله .

ولم ينس عساف ياجورى – بعد عودته من الأسر بعد انتهاء الحرب – ما حدث له ووحدته فى الحرب . فقد كتب مقالاً فى جريدة « معاريف »[2] وصف فيه يوم ٨ أكتوبر بأنه دخل التاريخ تحت اسم « الاثنين الأسود فى إسرائيل » . وقال « لماذا تركوا صدورنا عارية على جبهة الفردان يوم ٨ أكتوبر . إن خيبة الأمل التى أحسسب بها وقتئذ شعر بها أغلب الجنود ، وكل من عاشها لا ينسى مرارتها ...

... وعندما عدت من الأسر أذهلنى حجم الخسائر التى وقعت فى صفوفنا ... لقد أصبح الثامن من أكتوبر يوم الدم وخيبة الأمل والألم العظيم » .

□ □ □

كانت أنظارنا تتجه وتراقب فرقة شارون ، حيث كان فى تقديرنا أن هذه الفرقة سيتم إقحامها فى المعركة لمعاونة آدان فى هجوم فرقته ، ولكن ذلك لم يحدث .

وحوالى الظهر – ٨ أكتوبر – تحركت فرقة شارون فى اتجاه شرق السويس حيث كانت فرقة مندلر تقاتل ضد قوات الجيش الثالث لمحاولة اختراق مواقعه . وكان واضحا أن فرقة شارون ستتعاون مع فرقة مندلر على أمل أن تحقق الضربة المضادة الإسرائيلية نجاحاً فى قطاع الجيش الثالث بعد أن فشلت فى تحقيق النجاح فى اتجاه الجيش الثانى .

---

(١) قال الرئيس السادات : إن الذى قام بهذا العمل الرائع قائد من البراعم الجديدةاسمه أبو سعدة (ص ٣٤١ من البحث عن الذات) . نقل حسن أبو سعده بعد الحرب إلى وزارة الخارجية بدرجة سفير .

(٢) مقال عساف ياجورى فى ملحق جريدة معاريف الإسرائيلية فى ١٩٧٥/٢/٧ .

وبينما كانت فرقة شارون تتحرك جنوباً فى اتجاه السويس ، كانت فرقة آدان فى مواجهة الجيش الثانى قد تورطت فى قتال فاشل ، وازدادت خسائرها فى الأفراد والمعدات ، وأصبحت تحت ضغط مستمر من قوات الجيش الثانى . واضطرت للانسحاب شرقاً بعد أن تبعثرت لواءاتها على مواجهة واسعة ، الأمر الذى اضطرها إلى التحول لاتخاذ أوضاع دفاعية على مواجهة واسعة قد لا يكتب لها النجاح . ومن هنا اضطر الجنرال جونين قائد المنطقة الجنوبية لإعادة فرقة شارون – وهى فى الطريق إلى قطاع الجيش الثالث – لمعاونة فرقة آدان المتورطة أمام قطاع الجيش الثانى

وفى نهاية يوم القتال ، كانت فرقة آدان قد هزمت أمام الجيش الثانى ، وفرقة مندلر قد فشلت أمام الجيش الثالث ، أما فرقة شارون فلم تتعاون مع أى منهما . وأصبح هذا اليوم من أيام الهزيمة للجيش الإسرائيلى فى هذه الحرب ، بعد أن فشل « بقواته المعبأة » فى ضربته المضادة التى قام بها . وتبادل القادة الإسرائيليون الذين خاضوا قتال هذا اليوم الاتهامات ، وألقى كل منهم مسئولية الفشل على الآخر .

□ □ □

وشهد هذا اليوم أيضا – ٨ أكتوبر – نشاطاً جوياً زائداً ومؤثراً . فقد قامت قواتنا الجوية بهجمات جوية مركزة ضد مطارات العدو فى المليز وبير تماده (وسط سيناء) وبطاريات الصواريخ هوك المضادة للطائرات ورادارات العدو ومراكز قيادته فى القطاعين الشمالى والأوسط . وكانت نتيجة هذه الضربة الجوية قفل مطارى المليز وتماده وتدمير عدد من طائرات الهليوكبتر على الأرض فى مطار تماده ، وبذلك أصبح مطار العريش هو المطار الوحيد الذى يمكن للسلاح الجوى الإسرائيلى استخدامه ، كما تم إصابة مركزى القيادة والتوجيه فى أم خشيب وأم مرجم .

وفى سبيل تنفيذ مهامها المتعددة ، دارت المعارك الجوية فوق سيناء لحماية المقاتلات القاذفة عند توجيه هجماتها ، وحماية قواتنا البرية والمعابر بالتعاون مع قوات الدفاع الجوى . ووصل عدد الطلعات التى نفذتها قواتنا الجوية فى هذا اليوم إلى حوالى ٤٠٠ طلعة ، وهو مجهود كبير كان له أثره الفعال فى معارك اليوم . وحتى نهاية اليوم كان قد تم اسقاط ٢٤ طائرة فانتوم وسكاى هوك للعدو ، بينما كانت خسائرنا عشر طائرات . وقد أفاد الأسرى الإسرائيليون ، أنه نتيجة لخسائر السلاح الجوى الإسرائيلى

على الجبهتين المصرية والسورية ، فإن الروح المعنوية للطيارين أصبحت منخفضة لكبر حجم الخسائر وضراوة مقاتلينا من الطيارين المصريين .

وفى البحرين المتوسط والأحمر ، استمرت قواتنا البحرية فى تنفيذ مهامها لضرب مواقع العدو الساحلية . وعلى الساحل الشرقى لخليج السويس ، قامت قوات الصاعقة بالاغارة على مناطق بترول بلاعيم واشعلت النار فيها ، بعد أن اشتبكت مع قوة معادية هناك . وعادت الصاعقة بعد أن تركت ألسنة النيران مشتعلة تشاهد من مسافات بعيدة .

□ □ □

وبانتهاء قتال هذا اليوم فى حوالى الساعة الثامنة مساءً ، كانت قواتنا المسلحة قد حققت نصراً وألحقت بالقوات الإسرائيلية هزيمة أخرى . وقد حققت قوات الجيشين الثانى والثالث مهامها بنجاح ، وأصبحت رءوس كبارى الفرق الخمس بالعمق الكافى والقدرة القتالية لتحقيق مهامها التى تتطلب منها تطوير وتنظيم مواقعها لتكوين « رءوس كبارى جيوش » كما هو مخطط بحيث يتم ذلك فى اليوم التالى ٩ أكتوبر . ومن نتائج قتال هذا اليوم ، أصبح يوما حاسما فى مسار العمليات لصالح قواتنا .

وفى الجانب المعادى سجل ديان وزير الدفاع الإسرائيلى فى مذكراته ، تقييمه لنتائج القتال فى هذا اليوم ، من وجهة نظر إسرائيل بقوله :

« لو سارت الأمور كلها على ما يرام ، لأصبح الهجوم المضاد (الضربة المضادة) يوم ٨ أكتوبر هو نقطة التحول فى الحرب . فقد كان الغرض منه سحق القوات المصرية التى عبرت القناة ، واتخذت مواقعها على الضفة الشرقية . كانت إسرائيل قد أرسلت مئات الدبابات للاشتراك فى الهجوم المضاد ، وكنا نقدر أن يكون يوم ٨ أكتوبر هو يوم الدروع المتصارعة ... اشتبكت الدبابات الإسرائيلية بالفعل ، ودار قتال مرير ، وحارب رجالنا بشجاعة ، غير أن هذا اليوم كان يوم فشل عام » .

وفى تلك الليلة ، وبعد اجتماع للوزارة الإسرائيلية ، عقد ديان إجتماعا مع رئيس الأركان والقادة ، أوضح فيه وجهة نظره وتقييمه للموقف العام قائلاً :

« بعد أن داهمتنا الحرب كما حدث ، وبعد انتهاء اليوم الأول على الجبهة الجنوبية (سيناء) دون انتشار الجنود فى مواقعهم المحددة فى الوقت المناسب ، وبعد الفشل فى إخلاء الحصون وكان هناك وقت لذلك ، والآن عندما حان الوقت فى النهاية بقوة مناسبة

هناك – ثلاث فرق مدرعة وعدد كبير من الطائرات – حاربت طول يوم ٨ أكتوبر ، ضاعت هى الأخرى ، وتبددت كلها هباءً . انقضى هذا اليوم مخلفاً فى أعقابه خيبة أمل كبيرة وخسائر جسيمة وتقهقراً » .

خطة أمريكية لإسرائيل [١] :

لم نكن نعلم فى مصر طول مدة الحرب ، كما لم نعلم بعدها بمدة طويلة ، أن أحد المسئولين العسكريين وصل من أمريكا إلى إسرائيل فجر هذا اليوم – ٨ أكتوبر – وهو اليوم الثالث للحرب ، للاشتراك فى التخطيط مع إسرائيل لمواجهة الموقف العسكرى الإسرائيلى المتدهور على الجبهتين المصرية والسورية .

لقد كشف الجنرال اليعازار رئيس الأركان الإسرائيلى أثناء الحرب فى مذكراته التى كتبها بعد الحرب عن سر يذاع لأول مرة عن خطة عسكرية أمريكية حملها مسئول أمريكى إلى إسرائيل . وكان فى رئاسة الأركان فجر يوم ٨ أكتوبر ، وهو اليوم الذى وجهت فيه القوات الإسرائيلية ضربتها المضادة بالاحتياطى التعبوى الاستراتيجى بغرض تدمير قواتنا فى سيناء لإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه صباح يوم ٦ أكتوبر .

وإذا كانت أمريكا قد وضعت تقدير الموقف العسكرى يوم ٦ أكتوبر ، وقدمت النصيحة لإسرائيل فى نفس اليوم بما يجب أن تعمله فى اليوم التالى ، وهو ما نفذته فعلاً يوم ٧ أكتوبر ، إلا أن وصول قائد عسكرى أمريكى إلى إسرائيل يحمل معه خطة أمريكية يعتبر الخطوة الثانية الأكثر أهمية فى المعاونة العسكرية لإسرائيل بهدف حرمان مصر وسوريا من استكمال النصر .

كانت الساعة تقترب من الثالثة صباح الثامن من أكتوبر ، حين وصل إلى مقر رئاسة الأركان المسئول الكبير ، وكان أحد العسكريين فى البنتاجون – وزارة الدفاع الأمريكية – والمسئول عن منطقة الشرق الأوسط ، وكان وصوله إلى مطار بن جوريون فى طائرة عسكرية خاصة ، ويحمل معه مجموعة من التقارير الخاصة والصور الخاصة بالمعارك ومواقع القوات كما التقطها القمر الصناعى الأمريكى .

---

(١) من مذكرات دافيد اليعازار – ترجمة الأستاذ رفعت فوده – دار المعارف .

استعرض المسئول الأمريكى الموقف . واتفق الرأى على أن القتال لو استمر أكثر من ستة أيام ، فإن ذلك سيكون فى صالح العرب خاصة إذا طورت القوات المصرية هجومها شرقاً فى إتجاه الممرات ، وهو أمر غير مستبعد بل هو متوقع . وستكون نتيجة القتال فى غير صالح إسرائيل أيضاً إذا استمر القتال على الجبهتين المصرية والسورية كما يجرى حالياً . ووصل المسئول الأمريكى ، بعد بحث الموقف إلى استنتاج هو أن[1] :

« الحل الوحيد هو عزل إحدى الجبهتين عن الأخرى ، أو بمعنى أوضح توجيه ضربة مكثفة على إحدى الجبهتين لشل الجبهة السورية أو الجبهة المصرية أولاً ، حتى يستقيم لإسرائيل القتال على جبهة واحدة » .

لقد أدرك المسئول الأمريكى أن عمق رءوس الكبارى التى أقامتها القوات المصرية فى سيناء وصل إلى ثمانية كيلومترات ، وأن أعداداً كبيرة من الأسلحة والمعدات قد عبرت ، وأنه أصبح للمصريين أكثر من خمسين ألف رجل يقاتلون شرق القناة . كل هذه الأمور جعلته يقرر أنه « من المستحيل التفكير فى ضرب رءوس الكبارى » . ولذلك فإن الخطة التى يحملها تتلخص فيما يلى[2] :

١ – توجيه ضربة قوية لسلاح المدرعات وأرتال الدبابات المصرية الموجودة على الضفة الشرقية للقناة لشل فعاليتها ، وعمل إختراق بعد ذلك لضرب رءوس الكبارى فيتم عزل هذه القوات .

٢ – محاولة جذب القوات الجوية المصرية لمعارك بعيدة عن أرض المعركة ... أى فى العمق المصرى باتجاه الكثافة السكانية فى مناطق المنزلة والمنصورة ، مما يجعل عمل الصواريخ سام ٦ مقيداً ومحدوداً .

والمهم أن تقوم إسرائيل بانهاك إحدى الجبهتين للانفراد بالجبهة الأخرى وتكثيف الهجوم عليها .

وبرغم ظواهر الكارثة – بتعبير اليعازار – كان المسئول الأمريكى مطمئناً إلى أنه بالامكان الحد منها حتى اليوم الرابع للقتال (٩ أكتوبر) .

---

(١) ، (٢) المرجع السابق .

وبينما كان القائد الأمريكى موجوداً فى إسرائيل لتنفيذ المهمة التى وصل من أجلها فجر يوم ٨ أكتوبر ، كان القتال يسير شديداً فى الجبهتين المصرية والسورية . ولا شك أن هذا اليوم كان يحمل للقيادة الإسرائيلية أنباء مؤلمة طول اليوم الذى أطلق عليه ديان « يوم الفشل العام » .

لقد نجحت قوات الجيشين الثانى والثالث فى إيقاع الهزيمة بقوات الضربة المضادة الإسرائيلية ... وتم تحرير مدينة القنطرة شرق ... وقوات الصاعقة تقوم بتدمير الأهداف الإسرائيلية على الساحل الشرقى لخليج السويس ... وقواتنا الجوية تواصل هجماتها الجوية ضد قوات العدو وتخوض المعارك الجوية ، وجعلت مطارى المليز وتماده غير صالحين للاستخدام بواسطة العدو ، وأصبح مطار العريش هو الوحيد الذى يمكن استخدامه بواسطة العدو ... وقواتنا البحرية تقصف الأهداف الإسرائيلية . وقوات الدفاع الجوى تتصدى للطيران الإسرائيلى بكفاءة .

وكان القتال يدور شديداً فى « الجولان » نتيجة للدفاع العنيد الذى تقوم به القوات الإسرائيلية لصد الهجمات السورية ومحاولة أخذ المبادأة منها .

وتحولت إسرائيل لقصف أول مدينة مصرية بالطائرات ، ودارت معركةالدفاع الجوى عن بورسعيد اعتباراً من يوم ٨ أكتوبر .

معركة الدفاع الجوى عن بورسعيد [١] :

وبينما كانت المعارك على أشدها بين السلاح الجوى الإسرائيلى وقوات الدفاع الجوى يومى ٦ ، ٧ أكتوبر على امتداد جبهة القتال ، كان الأمر مختلفاً تماماً فى بورسعيد . لقد اقتصر الأمر خلال هذين اليومين على طلعات جوية متفرقة كانت بمثابة أعمال مشاغلة أكثر منها هجمات جوية منظمة .

وفجأة ، اعتباراً من يوم ٨ أكتوبر ، شهدت بورسعيد أشد المعارك شراسة وعنفاً بين الدفاع الجوى المصرى والطيران الإسرائيلى .

فمنذ ذلك اليوم ، واجهت المدينة هجمات، جوية شرسة ، حشدت لها إسرائيل

---

(١) فريق محمد على فهمى : القوة الرابعة : ص ١٧٨ – ١٨٠ .

أعداداً متزايدة من الطائرات ، بلغ عددها فى بعض الهجمات أكثر من خمسين طائرة كانت تهاجم المدينة فى نفس الوقت . ويرجع هذا التركيز على مدينة بورسعيد بالذات ، كما أوضح أحد الطيارين الإسرائيليين الذين تم أسرهم ، إلى اعتقاد القيادة الإسرائيلية أن لدى مصر صواريخ استراتيجية أرض / أرض لا يمكنها إصابة مدن إسرائيل الرئيسية إلا إذا وضعت فى بورسعيد باعتبارها أقرب النقط المصرية إلى مدن إسرائيل .

لقد ظنت القيادة الإسرائيلية أن بإمكانها تحقيق انتصار سريع على الدفاع الجوى فى هذا القطاع ، لأنه يعتبر هدفاً منعزلاً تكتيكيا عن شبكة الصواريخ الرئيسية . إلا أنه برغم كثافة الهجمات الجوية المعادية ، فإن قوات الدفاع الجوى كانت تكبد العدو الخسائر فى كل هجمة الأمر الذى يشتت ضرباته وعدم إصابته لأهدافه .

تعطلت بعض صواريخ الدفاع الجوى فى المعركة التى استمرت أياماً تالية ، فأمر الفريق محمد على فهمى بإيقاف الاشتباك بالصواريخ حتى يظن العدو أنه نجح فى إسكات جميع قواعد الصواريخ ، وأن يقتصر الاشتباك على المدفعية المضادة للطائرات وصواريخ الكتف . وتحركت أطقم الاصلاح على أعلى مستوى من قيادة الدفاع الجوى ، حيث قامت خلال ٤٨ ساعة تحت القصف المتواصل باصلاح القواعد المعطلة .

وكانت المفاجأة كاملة للطائرات الإسرائيلية ، عندما جاءت تطير مطمئنة فوق بورسعيد على ارتفاع أكبر من مدى المدفعية المضادة للطائرات ... فإذا بعشرات الصواريخ تنطلق من المواقع التى ظنوا أنها سكتت إلى الأبد ، وتساقطت الطائرات بالجملة وهو ما قابله شعب بورسعيد بالارتياح ... واستمرالصراع فى بورسعيد على هذه الوتيرة .

□ □ □

وإنى أتذكر الحديث التليفونى الذى كان يتم بين اللواء عبد التواب هديب محافظ بورسعيد وبينى من حين لآخر يستفسر ويستعجل تشغيل صواريخ الدفاع الجوى – عندما توقف الاشتباك بها مؤقتاً – وكان اللواء هديب يعبر عن الروح المعنوية العالية التى يتحلى بها المواطنون ببورسعيد كلما سألته عن ذلك ، ولكنه كان يريد أن يطمئن على استمرار الدفاع الجوى بالصواريخ عن المدينة .

لم يكن بوسعى أن أشرح للمحافظ المبررات والأسباب تليفونيا ، ولكنى كنت أنقل له الثقة والاطمئنان بأن الدفاع الجوى عن المدينة لن يتأثر وسيظل دائما يحمى المدينة ، وهو ما تحقق بجهود رجال الدفاع الحوى .

وعادت بى الذكريات عن شعب بورسعيد الذى أظهر صلابته خلال العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ . ولن أنسى أنه وقف نفس الوقفة الوطنية الرائعة - مع باقى المواطنين فى كل مدن منطقة القناة - أثناء المعارك التى دارت بالمنطقة خلال الفترة التالية لحرب يونيو ١٩٦٧ ، عندما كنتُ فى فترة منها رئيساً لأركان جبهة القناة . كنت أشعر حينئذ بأن شعب بورسعيد يقاتل بجانب الجيش فى ذلك الوقت ، ولم يتردد أى شخص فى تلبية أى عمل طلبناه منه فى خدمة المجهود الحربى مهما كان الجهد ومهما كانت التضحية المطلوبة . ويؤكد شعب بورسعيد مرة أخرى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ قدرته على البذل والعطاء .

ضرورة شل فعالية الدفاع الجوى وتدمير شبكة الصواريخ المصرية :

وأعود مرة أخرى إلى ما قام به المسئول الأمريكى الذى وصل فجر يوم ٨ أكتوبر إلى إسرائيل . لقد عاش أحداث القتال يومى ٨ ، ٩ عن قرب ، ولا شك أنه اقتنع بالحالة السيئة التى كان عليها موقف القوات الإسرائيلية .

وبعد دراسة الموقف وتحليل المعارك التى تمت ، وقبل أن يغادر إسرائيل عائداً إلى أمريكا ، عقد اجتماعا مع القيادة العسكرية ، ركز فيه على « كيفية شل فعالية الدفاع الجوى المصرى وتدمير شبكة الدفاع الجوى » حتى تتمكن إسرائيل من فرض سيطرتها الجوية على مسرح العمليات ، ويصبح للجيش الإسرائيلى القدرة على العمل بحرية .

وعلى مدى أيام القتال التى مرت ، جرَّب الطيران الإسرائيلى جميع الأساليب والتكتيكات ، واستخدام الأسلحة والمعدات الالكترونية ، وفشلت . لقد طاشت الصواريخ الموجهة المضادة للرادارات ومحطات توجيه الصواريخ والمعروفة باسم « شرايك » وهى أحدث ما أنتجته أمريكا ، عن أهدافها . ولم يكن ذلك راجعا لعدم قدرة الطيارين الإسرائيليين على استخدامها ، وإنما كان راجعاً إلى كفاءة المقاتل

المصرى الذى استعد جيداً لهذا الأمر ، ووجد له الحل المضاد . كما لم تمنع الإعاقة الالكترونية الكثيفة مقاتلى الدفاع الجوى من الاشتباك الفعال والمؤثر . ولم تفلح أعمال الخداع الالكترونى فى تشتيت النيران عن أهدافها الحقيقية . ليس معنى ذلك أن الصورة كانت وردية دائما ، فقد تكبدت قواتنا كل يوم إصابات فى معدات الدفاع الجوى وخسائر فى الأفراد ، وظلت شبكة الدفاع الجوى مستمرة فى قتالها بكفاءة[1] .

وانتهى الاجتماع الذى عقده المسئول الأمريكى مع القيادة الإسرائيلية ، لشل فعالية الدفاع الجوى المصرى وتدمير شبكة الصواريخ ، باقتراح من اليعازار رئيس الأركان الإسرائيلى :

« أن نركز على القطاعات المختلفة كل على حدة ، على أن نبدأ أولاً بضرب القطاع الشمالى من جهة بورسعيد حتى القنطرة ، ثم نبدأ بنفس العملية جنوباً . ومعنى ذلك أن نضحى بعدد من طائراتنا وندفع بعدد كبير منها فى مغامرة لا نجد بدا ومفرا من دخولها .

بعد أن سقط خط دفاعنا الأول ، وتصدع خط دفاعنا الثانى ، لم يصبح أمامنا إلا الانسحاب والتمركز فى خط دفاع الممرات . وهنا سيكون الحصار علينا رهيبا ، لو تمكنت وحدات الصواريخ المصرية من العبور إلى الضفة الشرقية . فإن ذلك يصبح أمراً بالغ الخطورة حيث يصبح خط دفاعنا الثالث فى الممرات تحت رحمة حماية مصرية أكيدة تعرقل عمل سلاحنا الجوى » .

---

(١) فريق محمد على فهمى : القوة الرابعة : ص ١٧٥ ، ١٧٦ .